

1- في إشكالية المصطلح:

يعتبر مصطلح الأدب المقارن مصطلحا خلافيا، و هو بإجماع الآراء ضعيف الدلالة على المقصود منه. و قد فنده كثير من الباحثين و لكنهم في النهاية آثروا الاستمرار باستعماله نظرا لشيوعه. و من هؤلاء عميد المقارنين بول فان تيجم -Paul Van Tieghem، الذي اعترف أن هذا المصطلح غير دقيق الدلالة على موضوعه، و أن هناك تعابير أخرى أصح وأوضح، و من التسميات التي اقترحت: . الآداب الحديثة المقارنة . تاريخ الأدب المقارن . التاريخ الأدبي المقارن تاريخ الآداب المقارن . تاريخ المقارنة.

و من المصطلحات التي اقترحت و دلت دلالة دقيقة على المقصود بهذا البحث الأدبي عند مبتكره مصطلح تاريخ العلاقات الأدبية الدولية الذي اقترحه ماريوس فرنسوا غويار -M.F.GUYARD، ذلك أن الأدب المقارن هو في الأصل تاريخ أدبي، يتتبع العلاقات بين الآداب و آليات التأثير و التأثير.

و قد انقضى الآن أكثر من قرن و نصف على الاستعمال الأول لمصطلح الأدب المقارن، و تعرض هذا الحقل المعرفي خلال هذه المدة لمناقشات و اتجاهات و انقسامات ، و لكن المصطلح نفسه أثبت فعاليته، و ثبت أن و ضع مصطلح بديل أمر بالغ الصعوبة بسبب هذه الخلافات على الأقل.

كما يثير بعض الدارسين قضية المصطلح باللغة العربية ، فالمتلقون يتساءلون دائما: هل هو مقارن (بالكسر) أم مقارن (بالفتح)؟ و الحق أن المصطلح الفرنسي la literature Comparee لا مبني على صيغة اسم المفعول فهو مقارن.

أما التسمية الإنجليزية Comparative فيمكن أن تترجم ب: مقارني ، و هي صفة من المقارنة. و منها اشتقت التسمية النوعية لعملية المقارنة Comparativism، و يقابلها بالعربية مصطلح المقارني و هذا المصطلح كثير الورد في كتابات العقدين الأخيرين، و لا سيما عند هنري رماك -Henry Remak.

2- المفاهيم الرئيسية للأدب المقارن:

أ- المفهوم الأول (الأدب الشفوي المقارن):

هو دراسة الأدب الشفوي و بخاصة موضوعات القصص الشعبي و هجرته، و كيف و متى دخل حقل الأدب الفني/ المكتوب الذي يُفترض أنه أكثر تطورا من القصص الشعبي. و من

الواضح أنّ دراسة الأدب الشفوي هي جزء متمم لدراسة الأدب المكتوب، إذ ليس من الممكن الفصل بينهما، و التفاعل قائم بينهما. و هناك أصل شعبي لكثير من الأنواع و الموضوعات. و الحق أنّ كثيرا من الأفكار

و الأنواع و الأذواق الأدبية انبثق عن الأدب الشعبي و الفلكلور كما أنّ كثيرا من قصص الجنّ و الخرافات و الأغاني الشعبية مستقاة من الأدب الفني/ المدوّن. فالصلة واضحة — و هي تبادليّة في الغالب — بين الأدب الشعبي و الأدب المدوّن ممّا يجعل دراسة النوع الأوّل مفيدة من حيث:

1- بيان الصلة بين الروح الشعبية كما تتمثل صافية في المرددات و الأدب الشفوي والأدب المدوّن بوصفه مرحلة متطورة من مراحل التعبير عن هذه الروح.
2- بيان تلك الصلات البعيدة بين آداب المناطق المختلفة التي يمكن أن تفيد في تكوين قناعات بشأن وحدة منشأ هذه الآداب، و كذلك وحدة التجربة الإنسانية في مجال التعبير الفني و الجمالي.

نشير إلى أنّ هذا المفهوم للأدب المقارن ظلّ محصورا في أوروبا الشمالية و لم يتجاوزها إلى المناطق الأخرى من العالم، و هو يمثل اليوم رافدا جزئيا من روافد المفهوم المقارني.

ب- المفهوم الثاني (التأثير و التأثير): و الحقل الثاني لدراسة الأدب المقارن هو دراسة الصلات بين أدبين أو أكثر. و هو المفهوم الأساسي الذي غلب على الأدب المقارن منذ نشأته. و قد تشدّد الفرنسيون في حصر الأدب المقارن بهذا الحقل و ركّزوا على دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض. و فرّقوا بين المقارنات الأدبية غير القائمة على الصلات و العلاقات، و بين الأدب المقارن الذي يعتمد على مفهوم التأثير و التأثير من خلال الصلات الواقعية بين الآداب و الأدباء من بلدان مختلفة.

ج- المفهوم الثالث (الأدب العالمي و العام): يحاول هذا المفهوم مطابقة الأدب المقارن مع دراسة الأدب في شموله أو مطابقته مع الأدب العالمي/ العام — Weltliteratur و هو مصطلح من وضع الشاعر الألماني غوته — GAUTTE و يعني أنّ الأدب ينبغي أن يدرس على اتساع القارات الخمس كلّها، و استعمل المصطلح ليُبيّن بزمان تصبح فيه كل الآداب أدبا واحدا. كما يحمل المصطلح معنى آخر : و هو الروائع العظيمة ذات السحر المستمرّ التي تجمع آثار دانتي و شكسبير و طاغور و ماركيز... لأنّها مقروءة في أنحاء العالم، و في كل عصر، و معترف بقيمتها الفنية و الفكرية.

لكن الأدب المقارن يعني شيئاً آخر؛ فهو يدرس العلاقة بين أدب و آخر/ بين طرفين اثنين، في حين يدرس الأدب العالمي الأدب في عالمه الأرحب متجاوزاً بذلك الاثنينية. الأدب العام / تاريخ الأدب العام يتناول الأبحاث المشتركة بين عدّة آداب إما في علاقاتها المتبادلة وإما في مطابقتها و الأدب العام مخصّص لدراسة تطورات في عدد أكبر من البلدان التي تُشكّل وحدة عضوية؛ الأدب العام يتناول ظاهرة أوسع رقعة لكنها أقصر مدة،

و يمكن على سبيل التوضيح التمثيل بتاريخ الأدب القومي بموضوع: ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي، و للأدب المقارن بموضوع مثل: تأثير ت.س. إليوت على الشعراء العرب المعاصرين. و للأدب العام بموضوع الرواية العاطفية في أوروبا بتأثير روسو و ريتشارد سون.

يعرّف غنيمي هلال الأدب المقارن قائلاً إنه: «دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجية عن نطاق اللغة القومية التي كُتبت بها». و انطلاقاً من هذا التعريف فإنّ محور البحوث المقارنة ينبغي أن يكون الأدب القومي في صلته بالآداب العالمية، وامتداده بالتأثير فيها أو التأثير بها والغنى بسببها. وهذا يعني أنّ الدكتور هلال ينطلق من الأدب القومي إلى "الآداب العالمية"، ليعود في نهاية المقارنة إلى نقطة الانطلاق، أيّ إلى الأدب القومي، من أجل أن يُبيّن نواحي الأصالة فيه. و إذا أردنا أن نُعبّر عن مفهوم الدكتور هلال للأدب المقارن تعبيراً آخر نقول: إنه العلم الذي يدرس تأثير الأدب القومي بالآداب الأجنبية وتأثيره فيها.

و عُزّف: «بأنّ العلم الذي يدرس العلاقات بين الآداب القومية المختلفة في تأثيرها و تأثيرها. أو بتعبير أكثر بساطة: العلم الذي يحاول أن يتخطى الحدود القومية ليعرف ما عند الآخرين، ما هو أصيل من آدابهم، و ما أخذوه عن غيرهم. و في محاولته هذه يستكشف عاداتهم و تقاليدهم، و يسهم في التعريف بهم لمن يجهلهم. إنّ في غايته البعيدة دعوة إلى التفاهم و التعاون. و المقارنة كعلم له منهج و قواعد وليدة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلّا أنّها كظاهرة قديمة قدم الأدب نفسه».

فروع الدراسة الأدبية المقارنة:

-عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة، و المتمثلة في الكتب و المؤلفين، و إلى حدّ ما المترجمين.

-دراسة الأجناس الأدبية، و انتقالها ما بين الآداب القومية المختلفة.

-دراسة الموضوعات الأدبية.

-تأثير كاتب ما من أمة في أدب أمة أخرى؛ كلاهما ينتمي إلى وطن مختلف، و إلى لغة مباينة، و إلى حقبة غير الأخرى، و إلى مذهب فني مستقل، و مع ذلك فسوف يلتقيان عند أشياء، و يختلفان في غيرها اختلافا شديدا،

و هذا الاختلاف الشديد دليل قرب، و ملمح تلاق، و ليس وليد تناقض أو أبعاد، لأنّ طرفي الدائرة يلتقيان عند نقطة، و يفترقان عندها أيضا.

-دراسة مصادر الكاتب- و مثل هذه الدراسة عادة ما تأتي ضمنا-.

-دراسة التيارات الفكرية.

-دراسة الشخصيات الأدبية المتخيلة و النماذج البشرية المختلفة.

-دراسة بلد ما و متعلقاته كما يصوره أدب أمة أخرى.

ج-المفهوم الرابع (اتجاهات معاصرة): توسّعت كثيرا في مفهوم الأدب المقارن ليشمل المقارنة بين الآداب المختلفة مع التجاوز عن شرط وجود علاقة تبادلية بينها، و من المعاصرين من يسند إلى الأدب المقارن مهمة دراسة العلاقات بين الأدب و فروع المعرفة الأخرى و لاسيما في مجال الفنون و العلوم الإنسانية، إنّه عندهم: "مقارنة أدب معين مع أدب آخر أو آداب أخرى، و مقارنة الأدب بمناطق أخرى من التعبير الإنساني. Remak

و يطالب هؤلاء بأن تتوسّع نظرة الأدب المقارن لتشمل البحث عن المشابهات في الأفكار الأدبية و في الذوق الجمالي، لأنّه بغير ذلك لا يكون الأدب المقارن فعالية حية مرتبطة بقضايا العصر. و هم لا يشترطون وجود علاقة تاريخية أو تأثر و تأثير في منطقة الأدب المقارن، إنّما يعتبرون المشابهات الجمالية و الدوقية أساسا للبحث و وسيلة لاكتشاف العنصر المشترك على مستوى الإنسانية.

أهمية دراسة الأدب المقارن:

تهتم معظم الجامعات في مختلف أنحاء العالم وكذا معظم المهتمين بالدراسات الأدبية في شتى الثقافات والقوميات بالأدب المقارن نظرا لما يقدمه للآداب القومية ولحركة الأدب العالمي من فوائد كثيرة، ويمكننا حصر هذه الفوائد فيما يلي:

أ- خدمة الأدب القومي:

من الخدمات التي يقدمها الأدب المقارن للأدب القومي هي:

- أ- التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومي، هذا التعصب الذي كثيرا ما يؤدي إلى عزلة الأدب واللغة القومية عن تيارات الفكر والثقافة المفيدة التي تساعد على إثرائه.
 - ب- تحديد المستوى الحقيقي للأدب القومي.
 - ت- المساعدة على التمييز بين ماهو قومي أصيل وبين ما هو أجنبي دخيل على أي أدب قومي.
 - ث- توسيع الدائرة التي يدور في فلكها الأدب القومي سواء من حيث الأجناس الأدبية أو من حيث الموضوعات التي يعالجها الأدب القومي و الأفكار التي تتردد بين الأدباء في ثقافة معينة، فالأدب المقارن يفتح العيون على ألوان جديدة من أجناس و أفكار متداولة في آداب أخرى خارجية، وبذلك يجد الأدباء القوميون الفرصة للتأثير والتأثر و نقل أفكار جديدة وأجناس أدبية لم تكن معروفة لدى الأدب القومي قبل الانفتاح على الآداب الأجنبية.
- هكذا يسهم الأدب المقارن في إثراء الأدب القومي وإثراء ثوب جديد على كل مجالاته.

II- خدمة حركة الأدب العالمي :

يسمح الأدب المقارن بدراسة الظواهر الأدبية التي لم يقتصر وجودها على أدب قومي واحد بل التي انتشرت في مختلف ثقافات العالم، كالمدرسة الكلاسيكية التي سيطرت على جميع الآداب الأوروبية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهنا ينبغي على الباحث دراسة الحركة نفسها وماذا تعني ثم يدرس الظروف التي أدت إلى خلقها وأين وجدت لأول مرة وما أهم مميزاتها في بداية ظهورها ثم إلى أين انتقلت وما الجديد الذي اكتسبته هذه الحركة في كل بلد مرت به ثم يدرس الباحث أسباب أفول نجم الحركة في كل بلد مرت به وكيف أفسحت المجال فيما بعد إلى الحركات التي جاءت بعدها.

تسمح هذه الدراسات على زيادة التفاهم بين الشعوب وتقريب وجهات النظر بين الأمم المختلفة، إذ أن اطلاع الشعوب على آداب أمم أخرى يعد بمثابة نافذة تتطلع من خلالها على عادات وتقاليدهم تلك الأمم ولا شك أن هذا سيؤدي إلى توطيد العلاقات وتعميق الصلات بين الثقافات و الأمم.

III - الإسهام في تطوير بعض الفروع المعرفية الأدبية :

أ- النقد الأدبي:

لا يمكن للناقد أن يكشف عن القيم الفنية في عمل معين إلا إذا استطاع أن يحل رموز هذا العمل بالكشف عن المنابع والمؤثرات التي انتقلت إلى الكاتب أو الشاعر من الآداب الأخرى. و لا يمكنه تحقيق ذلك إلا عن طريق رجوعه إلى الأدب المقارن

ب- التاريخ الأدبي:

لم يعد، ضمن "الأدب المقارن"، يُنظر إلى كل أدب قومي على أنه منعزل عن الآداب الأخرى بل أصبح على المؤرخ للأدب أن يتابع صلات الأدب الذي يؤرخ له بالآداب الخارجية (الأجنبية عنه) ومدى تأثيره بالحركات الأدبية العالمي.

ثانيا: النشأة و التطور

-محاور المحاضرة:

قبل البدء

1-أدوات البحث و عُدّة الباحث المقارن

2- النشأة و التطور: أ-البدايات الأولى

ب-تطور الدراسات المقارنة في القرن العشرين

ج-الدراسات المقارنة في أمريكا

د-الدراسات المقارنة في أوروبا الشرقية

هـ-الدراسات المقارنة في آسيا و اليابان

-مدخل:

« كل شعب بلا صلات ثقافية مع الشعوب الأخرى ليس إلا حلقة منفصلة عن الشبكة

العالمية الكبرى ». إدغار كينييه -E.QUINET

1 -أدوات البحث في الأدب المقارن/ عُدّة الباحث المقارن:

يحتاج الباحث في الأدب المقارن إلى مجموعة من الأدوات التي تعينه في الدراسة المقارنة:

أ-الدراسة التاريخية: من الضروري أن يتزود الباحث بحصيلة واسعة من دراسة التاريخ. و هذه الدراسة تعينه على فهم الأحداث و تطوراتها، و العلاقات الإنسانية بين الشعوب في مظاهرها المختلفة. و الأدب المقارن يحتاج إلى التاريخ في الوقوف على سير الأبطال و دراسة النماذج البشرية الأدبية المعروفة عن كل شعب

و أدب : كعنتر في الشجاعة و حاتم في الكرم و المجنون في الحب.. و كفاوست عند الألمان ، و دون جوان عند الإسبان...

ب- معرفة اللغات المختلفة: المعرفة لا تعني بالضرورة الإجابة لأن ذلك لا يتوفر للكثيرين، و لهذا أصبحت معرفة بعض اللغات هي الحد الأدنى الذي يطلب فذلك أفضل من الاعتماد الكلي على الترجمات. (يكفي الباحث أن يحيط بلغة أخرى إضافة إلى لغته القومية، كما يكفيه أن يبحث في عصر تاركا لغيره بقية العصور، و أن يختار شخصية معينة من بين الشخصيات، و أن يتناول جزئية تاركا لغيره بقية الجزئيات. فالعمل في ميدان الأدب المقارن يمكن أن يكون جماعيا تتضافر فيه الجهود، و أن يقدم كل ما يُحسن).

ج- الإحاطة بالآثار الأدبية الكبرى: كالإلياذة و الأوديسة و الكوميديا الإلهية و رسالة الغفران، و الشاهنامة

... و لو من خلال الترجمات.

د- الرحلة: لأنّ الاتصال بالشعوب يفتح آفاقا للفهم لا تنهياً من دراسة الكتب وحدها، كما تساعد على إدراك المزاج الشخصي لشعب من الشعوب، و العادات التي تتحكم في تفكيره، و اتجاهاته فتجعل فنا من فنون الأدب يروج عنده و لا يروج عند غيره من الشعوب، و الرحلة قد تكشف عن أدباء مغمورين،

و ثروات أدبية دفينّة. و يكون الرحالة بذلك مرسلًا و مستقبلًا - و الأمران ضروريان في الأدب لنقل الأفكار، و الصور، و تبادل التأثير-.

2-النشأة و التطور:

أ- البدايات الأولى :

ترجع نشأة الأدب المقارن إلى حوالي **1827** في فرنسا، حين بدأ "آبيل فيلمان" - **Abel Villemain** في إلقاء محاضراته بجامعة السربون حول علاقات الأدب الفرنسي بالأدب الأوروبية الأخرى والجدير بالذكر أن "فيلمان" هو أول من استخدم مصطلح "الأدب المقارن" وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي. إلا أنّ محاولات المقارنة بين الآداب ظهرت قبل "فيلمان" بسنوات عديدة (العصر الروماني مثلاً).

وقد شهد القرن الثامن عشر بعض المحاولات من هذا النوع نتيجة لعوامل عدة نذكر منها:

- اتساع الأفق الأدبي لدى الباحثين نتيجة ازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب.

- ظهور اتجاه قوي نحو العالمية أو ما يسمى بالكوسموبوليتية (**Cosmopolitisme**) الذي يختلف عن فكرة التعالي في الأدب؛ أي وجود أدب مميز عن الآداب الأخرى.

- تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب حيث أصبح اتجاهها إنسانيا شاملا يهتم بالتجربة الإنسانية.

- اتساع المناهج العلمية في فهم الأدب ودراسته ، وانتشار المقارنات العلمية بين الأمم، ومحاولة العلماء الاستفادة مما وصلت إليه التطورات العلمية خارج حدود بلدانهم؛ مما نجم عنه نشأة فروع جديدة من المعرفة تعتمد على المقارنة، مثل: "علم الحياة المقارن" و "علم التشريح المقارن" و "علم اللغة المقارن"، ومن هنا كان التحوّل إلى مجال الدراسات الأدبية؛ فظهر بعض الباحثين الذين بشّروا بظهور "علم أدبي مقارن"، وكان في مقدمة هؤلاء "إدغار كينييه".

- تأثير المكتشفات العلمية في حقل العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والتاريخ...

وتعتبر فرنسا المهد الأول للأدب المقارن نظرا لعوامل ثقافية واجتماعية وسياسية أهمها:

1. كان المناخ الثقافي الفرنسي منذ العصر الكلاسيكي مناسباً لممارسة البحث الأدبي المعمق لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم و الثقافة، وعملوا على جعلها مركز إشعاع ثقافي في أوروبا.
2. كان الفرنسيون أول من تفتّن إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية الأخرى مما أنشأ الأساس الأول للتفكير في الأدب المقارن.
3. رغبة فرنسا الشديدة في استرجاع مكانتها الثقافية الماضية من خلال التوسعات الاستعمارية في البلدان الإفريقية.

بعد " فيلمان " أتى جان جاك أمبير - **J.J.Ampère** الذي ألقى عام **1830**

محاضرات في الأدب المقارن لفتت إليه الأنظار مما أدى إلى الانتقال من "مرسليا" إلى **السوربون** حيث كان يلقي محاضرات حول الأدب الفرنسي، وعلاقاته بالآداب الأخرى في العصور الوسطى.

وكان "جوزيف تكست- **j. Texte** أول من كتب دراسات عميقة في الأدب المقارن جمعها تحت عنوان "دراسات في الآداب الأولى" سنة **1898** م وكان لها أثر قوي في نمو الأدب المقارن.

وبعده جاء "فرناند بالد نسبرجير - F. Baldensberger الذي ألّف كتابه " غوته في فرنسا" سنة 1904، ثم عُيّن أستاذا في السوربون حيث أحدث كرسيًا للأدب المقارن سنة 1910.

وفي سنة 1903 انعقد بباريس مؤتمر عالمي جمع أساتذة الأدب في فرنسا وخارجها حيث بحثوا في موضوع التاريخ المقارن للآداب؛ وقد دعوا في هذا المؤتمر إلى دراسة التراث الشعبي و الأساطير والخرافات جنبًا إلى جنب مع الأدب، كما أكدوا على ضرورة المقارنة بين مختلف الآداب الأوروبية.

و بهذا كانت فرنسا سبّاقة إلى إنشاء هذا الفرع المعرفي...

أما في بريطانيا: فقد ظهر أول كتاب في الأدب المقارن ما بين عامي 1837-1839 في أربع مجلدات بعنوان :

" مقدمة لدراسة الأدب الأوروبي في القرن الخامس عشر و القرن السادس عشر والقرن السابع عشر " هنري هالام - Henry Hallam. ويعتبر الشاعر و الناقد الإنجليزي " ماثيو آرنولد - M. Arnold أوّل من جارى الفرنسيين في استخدام مصطلح الأدب المقارن.

أما في ألمانيا: فكان الأدب المقارن فرعًا من تاريخ الأدب وكان **دانيال مورهوف - Morhof** أوّل من تنبّه إلى أهميته في الدراسات الجامعية و أوّل من أدخله في المناهج الدراسية تحت اسم " تاريخ الأدب العام "، وظل الحال على ما هو عليه حتى نهاية القرن التاسع عشر. و لم يتفرغ الألمان لدراسة الأدب المقارن إلا بعدما أشبعوا أدبهم القومي دراسة وبحثًا، ولم يدخل الأدب المقارن إلى الجامعة إلا في سنة 1887 على يد ماكس كوخ - Max Koch الذي نشر أوّل عدد من مجلة " الأدب المقارن ".

ب-تطور الدراسات المقارنة في القرن العشرين:

مع مطلع العشرينيات كانت مختلف الجامعات الفرنسية تُقبل شيئاً فشيئاً على تخصيص كراسٍ للأدب المقارن من جهة، ونشر البحوث المنهجية من جهة أخرى. ففي حوالي **1910** سارعت جامعة السوربون إلى إنشاء كرسيٍّ ثانٍ للأدب المقارن. وفي **1911** بدأ **بول فان تيجم - Paul van Tieghem** بحوثه المنهجية في الأدب المقارن التي كُلتت بنشر كتاب «التركيب في التاريخ الأدبي» و «الأدب المقارن والأدب العام» سنة **1921**. وفي عام **1931** نشر كتابه " الأدب المقارن " الذي ظل مرجعاً أساسياً في علم الأدب المقارن لمدة طويلة.

و تتابعت المؤلفات الفرنسية منها وتطبيقاً ففي سنة **1951** نشر **ماريوس فرانسوا غويار** كتابه : الأدب المقارن. و في الفترة نفسها -أي في الخمسينيات من القرن العشرين- ظهرت رؤية جديدة للأدب المقارن كان من روادها: **إيتيامبل وبيشوا و روسو و برونيل ...** فنشروا جملة من الأعمال عكست رؤيتهم المتطورة و خطت بفضلها الدراسات المقارنة خطوات لافتة، و من أهم هذه الأعمال:

1- ما هو الأدب المقارن؟ لبيشوا و برونيل و روسو.

Qu'est-ce que la littérature comparée ? Pichois, Brunel, Rousseau.

2- في سنة **1989** نشر **إيف شوفرال - Yves Chevral** كتابه بعنوان "الأدب المقارن "

3- في سنة **1994** نشر **دانيال باجو - Daniel Pageaux** كتاباً بعنوان " الأدب العام والمقارن "

4- في سنة **1996** نشر "إيف شوفرال " كتاباً آخر بعنوان "مقدمة في الأدب المقارن "

5- في السنة نفسها نشر **بيار برونيل - Pierre Brunel** كتاباً بعنوان : مقالة في الأدب العام و المقارن - **La Dissertation de la littérature générale et comparée**

6- في سنة 1998 نشر " بيار برونيل " وجان مارك مورة " كتابا بعنوان "شرح للأدب

Le commentaire en littérature générale et " والمقارن العام comparée

ج-الدراسات المقارنة في أمريكا:

التفت الأمريكيان إلى الدراسات المقارنة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأول من أدخل هذه المادة إلى الجامعات الأمريكية القس تشارلز تشاونسي شاكفورد - (Charles Chauncy Shakford).

وقد أنشئ أول كرسي للأدب المقارن في أمريكا في السنة الجامعية 1890/1891 في جامعة " هارفارد - Harvard

وفي سنة 1904 أنشئ قسم كامل للأدب المقارن بالجامعة نفسها، وتولى رئاسته سكوفيلد - Schofield الذي أسس مجلة أسماها " دراسات من هارفارد في الأدب المقارن" عام 1910.

وفي سنة 1942 أنشأ آرثر كريستي - Arthur Christy لجنة للأدب المقارن، تعمل على تشجيع ما أسمته بـ: الأدب العام، وإدراجه ضمن البرامج المقررة على طلبة المدارس والكلليات والجامعات.

وفي سنة 1961 ظهرت أول مجموعة من المقالات المتخصصة في الأدب المقارن وجمعت في كتاب واحد تحت عنوان " الأدب المقارن " منهجه وآفاقه.

وقد ظل الاتجاه التطبيقي هو الغالب في المؤلفات الأمريكية في الأدب المقارن، ولعل أهم بحث في هذه المرحلة هو كتاب " نظرية الأدب " " لأوستين واران " و " رينيه وبلك "، الذي نشر سنة 1971. ثم نشر شولتز كتابه الأدب المقارن كنظام أكاديمي عام 1978. كما شهدت المرحلة نشاطا كبيرا لـ " هنري رماك - Henry Remak في هذا المجال.

وفي الثمانينات بدأ الأمريكيان يخرجون من دائرة الآداب الأوروبية نحو الآداب الأخرى كآداب أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا...

وأهم ما يميز أمريكا في هذا المجال وفرة المنشورات السنوية التي تصدرها الجامعات والروابط الأدبية منذ سنة **1958** كالكتاب السنوي للرابطة الدولية للأدب المقارن. كما كان الأمريكيان ينشطون كثيرا ضمن مؤتمرات الأدب المقارن فقد استضافت الولايات المتحدة الأمريكية المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن سنة **1958** في جامعة كارولينا الشمالية والمؤتمر العاشر لهذه الرابطة الذي انعقد سنة **1982** بنيويورك.

د-الدراسات المقارنة في أوروبا الشرقية:

لم تتقبل بلدان أوروبا الشرقية الأدب المقارن حتى كمجرد فكرة. وبعد المرحلة الستالينية حدث انفتاح نسبي في الثقافة والأدب أفاد منه الأدب المقارن نسبيا، إذ افتُتح قسم للأدب المقارن في معهد الأدب الروسي في لينينغراد. ومع ذلك ظل الأدب المقارن على الهامش في هذه الرقعة الجغرافية رغم شدة اعتناء هذا الوسط بالآداب الأجنبية حيث كانت تصدر في الاتحاد السوفيتي مجلستان موسومتان بـ: **الآداب الأجنبية الواحدة في موسكو** و **الثانية في كييف**، ولكن لم تشيرا إطلاقا لمسائل الأدب المقارن. وفي الستينيات ظهر انفراج نوعي نسبي في حقل الأدب المقارن، ونشطت محاولات لجمع شمل المقارنين الاشتراكيين في إطار ندوة **بودابست** سنة **1962** وندوة **برلين** سنة **1966**.

هـ-الدراسات المقارنة في آسيا و اليابان:

تتجه الدراسات المقارنة بخطى ثابتة نحو العالمية ولم تعد حكرًا على أوروبا الغربية و أمريكا؛ وأثناء فترة السبعينيات والثمانينيات نشطت حركة ترجمة مقارنة في بلدان آسيا وأفريقيا، كما أنشئت فروع الرابطة الدولية للأدب المقارن في العديد من بلدان آسيا ومن أهمها " **الصين** " حيث تتصاعد أصوات قوية لصالح الأدب المقارن في منظمة عُرفت دائما بعدم ترحيبها بالانفتاح على العالم، وفي ظل هيمنة أيديولوجية للحكم على المؤسسات الثقافية والتعليمية. وإلى جانب الصين هناك جامعات **تاوان** التي تصدر دوريات أدبية باللغة الانكليزية تظهر اهتماما متزايدا بالأدب المقارن وكذا **كوريا الجنوبية**. وها هو ذا الباحث الكوري **سى وُن تشانج (Se-Won Chang)** يقوم بالمقارنة بين أدبه القومي وأدبنا العربي فيقرّ بأهمهما، وإن تشابها في بعض النقاط، لم

تقم بينهما يومًا أية صلات نظرا للبعد الجغرافي واختلاف السياق الثقافي هنا وهناك. وعلى هذا فهو يقترح استعمال المنهج الأمريكي في هذه المقارنة بين الأدبين نظرا لأنه هو المنهج الذي يصلح لتلك المهمة. يقول في مقال له بعنوان "إمكانية الدراسة المقارنة في الأدبين العربي والكوري": إنّ مجال الأدب المقارن أصلاً شاسع وواسع لأنه يمكن أن يتناول أدبين أو أكثر. ولعلّ مجال الأدب المقارن يتسع أكثر في حالة تناول أدبين ليس بينهما تأثير وتأثر. لذلك فنحن مضطرون في هذا البحث إلى اختيار منهج من مناهج الأدب المقارن نراه مناسباً للدراسة التي سنقوم بها، ولذلك أيضاً تمّ اختيار نماذج محدّدة من الأدب العربيّ والأدب الكوريّ للتطبيق عليهما... إنّ موضوع هذا البحث بالتحديد: البحث المقارن في الأدبين العربيّ والكوريّ، وستجري المقارنة بين الأدبين بمقابلتهما ببعضهما واستخراج نقاط التشابه بينهما في الفترة الحديثة، ومحاولة إثبات أنّ هناك شبهة بين الأدبين في بعض ما يميّزان به من خصائص مع أنّ هذا التشابه بين الأدبين قديم ولا يقتصر وجوده على الفترة الحديثة. وعليه يمكننا مبدئياً القول: إنّ الأدبين العربيّ والكوريّ متشابهان على الرغم من أنّهما صورة للآداب غير الأوروبية أولاً، وعلى الرغم من بعد الشقة المكانية بينهما التي يكون من المستحيل معها في تلك الفترة تأثير أحد الأدبين في الآخر ثانياً. وربما يعود ذلك إلى تجربتهما المتشابهة تحت الاستعمار في العصر الحديث...".

أما الهند فعلى الرغم من تفتحها التقليدي على الكتلتين الشرقية والغربية فإنّ انشغال باحثيها بالقضايا الداخلية للعلاقات بين اللغات والآداب في شبه القارة الهندية صرفها عن الإسهام المنتظر في الأدب المقارن.

و قد لاحظت في الأفق بوادر بحوث **هندية -باكستانية** متواصلة تهتمّ الأدب العربي المقارن لأنها تركز على طبيعة العلاقات الثقافية والأدبية بين الحضارتين الهندية و العربية لاسيما من خلال الإسلام.

وتستحق اليابان وقفة خاصة لأنها أخذت منذ السبعينيات تحتضن تطورات مقارنة مهمة، ومن أبرزها: دخول الأدب المقارن نسبياً إلى الجامعات اليابانية، وظهور بعض المؤلّفات اليابانية بهذا العنوان، ونشاط الرابطة اليابانية للأدب المقارن في الساحة الدولية. وأتى عقد المؤتمر الثالث عشر للأدب المقارن في طوكيو في **1991** دليلاً على خروج الرابطة الدولية من بوتقة الغربية.

المحاضرة الثالثة: الدراسات المقارنة العربية

1 - البدايات :

كانت النهضة العربية علمية أولا ثم بعدها أدبية، ولعلّ أوّل من وضع اللبنة الأولى في هذا الحقل المعرفي هو **رفاعة الطهطاوي** الذي سافر مع البعثات الطلابية إلى فرنسا كواعظ ديني و ألف - بعدما اطّلع على بعض مظاهر الحضارة الغربية - كتابه **تخليص الإبريز في تلخيص أخبار باريز** الذي كان مقارنة شكلية وسطحية بين الثقافتين الشرقية والغربية .

أضف إلى ذلك **سليمان البستاني** الذي ترجم " إلياذة " هوميروس شعراً من اليونانية إلى اللغة العربيّة الذي حاول من خلال المقدمة التي كتبها لهذا العمل أن يبحث عن الشعر القصصي العربيّ، ويقارنه بمثيله الفرنسي أو الغربي عامة لكنه انتهى إلى ألاّ وجود للشعر القصصي الفني الحقيقي في الثقافة العربية .

وعند انتهاء القرن التاسع عشر كان الإقبال على الدراسات المقارنة كبيراً ويظهر ذلك جلياً عند عدد من المؤلفين السوريين أمثال **نجيب الحداد** الذي حاول المقارنة بين الشعر العربي و الفرنسي؛ و انتصر للشعر العربي - والملاحظ أن هذه الدراسة كانت ضعيفة جداً -.

كما كانت مجلة " المقتطف " حينذاك اللسان الناطق باسم الوعي الفكري المتفتح، وقد نشرت مقالا بعنوان "بلاغة العرب والإفرنج " لـ**أحمد كامل** الذي رجّح بلاغة العرب وتحامل على البلاغة الفرنسية وقد انتقد من قبل **خليل ثابت** و **نيكولا فياض** اللذين وصفاه بالجاهل للثقافة والبلاغة الغربيتين.

لعلّ أوّل عمل يستحقّ الذكر فعلاً هو كتاب **روحي الخالدي** بعنوان : **تاريخ علم الأدب عند**

الإفرنج و العرب وفكتور هوغو؛ وهو يشمل على مقدمة تاريخية واجتماعية في علم الأدب عند

الإفرنج والعرب- أثناء تمدنهم حتى العصور الوسطى-، وما أخذه الإفرنج عنهم من الأدب و الشعر في نهضتهم الأخيرة لاسيما فيكتور هوغو **Victor Hugo**. ومن بين الموضوعات التي تناولها أيضا أخذ التروبادور علم القوافي عن العرب. والأصل العربي لمسرحية السيد **le Cid** لكورناي.

وبعد الخالدي، كان الاهتمام بالدراسات المقارنة يزداد ، ففي سنة **1912** يكتب الشاعر العربي مطران خليل مطران -في مقدمته لمسرحية " عطيل " لشكسبير -التي ترجمها إلى اللغة العربية- عن اقتراب شكسبير من الذوق العربي.

وفي مطلع العشرينيات بدأت كلمة **مقارن** تظهر بوضوح أكثر في مجال الدراسات الأدبية العربية. وتحتل مكانا في بعض المعاهد العليا: كمدرسة دار العلوم بالقاهرة التي استخدمت منهج المقارنة في مجال الدراسات اللغوية؛ ففي سنة **1924** كانت تُدرّس بها مادة جديدة بعنوان: **اللغة العبرية و اللغة السريانية ومقارنتهما باللغة العربية**.

وفي مطلع الثلاثينيات ساهمت مجلة **الرسالة** بنشر بعض الدراسات الخاصة بالأدب المقارن والآداب الأجنبية بشكل عام؛ منها مقالات عن الأدب الفارسي والأدب العربي - واتّصفت بالعمق النسبي والمنهجية-. بالإضافة إلى بعض المقالات التطبيقية مثل مقال بعنوان : **داني أليجيري والكوميديا الإلهية وأبو العلاء المعري** .

بالإضافة إلى مجلة **المقتطف** التي نشرت بدورها عدّة مقالات سنة **1933** ؛ منها مقال نشره باللغة الفرنسية **ماريوس بك شميل** بعنوان " **لامرتين في ربوع الشرق** " إلّا أنّها كانت وصفية. وهذه الفترة هي التي أسّست لظهور البحث التطبيقي في الدراسات المقارنة العربية.

وفي الأربعينيات من القرن العشرين ظهر كتاب ذو أهمية في هذا الحقل المعرفي الأدبي **إلياس أبي شبكة** بعنوان: **روابط الفكر بين العرب والفرنجة**. وفي سنة **1948** ظهر كتابان هما: من الأدب المقارن **لنجيب العقيقي**، وفي الأدب المقارن **لعبد الرزاق حميدة**.

وفي الخمسينيات تعددت وسائل التواصل بين العرب والغرب فاتسعت رقعة المقارنة في هذه الفترة خاصة بعد عودة الطلاب الذين تخصصوا في هذا المجال في أوروبا ونذكر من بينهم **محمد غنيمي هلال** الذي نشر سنة **1953** كتابه " **الأدب المقارن** " الذي يُعدُّ مصدراً مهماً للدراسات المقارنة العربية.

وفي السنة نفسها نشر **محمد البحيري** كتاباً بعنوان: **الأدب المقارن**، وفي سنة **1957** نشر **صفاء خلوصي** كتاباً بعنوان: **دراسات في الأدب المقارن** بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى: **الأدب المقارن** و **فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة** و **الترجمة التحليلية**.

وبهذا تنتهي المرحلة التأسيسية للدراسات المقارنة في البلاد العربية لتترك المجال **لمرحلة الترويج**.

وفي هذه المرحلة ظهرت مجلتان مختصتان في الدراسات المقارنة هما:

أ- مجلة " **الدراسات الأدبية** " ظهرت في لبنان من **1966** إلى **1967** كانت تصدر باللغتين العربية والفارسية .

ب- **الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن**: ظهرت في الجزائر فيما بين **1967** و **1968** وهي تصدر باللغة الفرنسية وكان يديرها الدكتور " جمال الدين بن شيخ " .

وفي سنة **1966** ظهر كتاب بعنوان **دراسات في الأدب المقارن لعبد المنعم خفاجة** وفي سنة **1967** صدر كتاب **حسن حسن جاد** بعنوان: **الأدب المقارن**. أضف إلى ذلك " **طه ندا** " الذي كان يقارن بين الأدب العربي

و الآداب الشرقية، و يُعدُّ كتابه عن الأدب المقارن مرجعاً رئيساً و لا غنى للمهتمين بالدراسات المقارنة عنه لأهميته و منهجيته.

وفي فترة السبعينيات تبدأ **مرحلة النضج**: و أهم ما يميّزها صدور أبحاث أكاديمية: لمحمد عبد السلام كفاي في سنة **1971** وطه ندا في سنة **1975** وبديع محمد جمعة في سنة **1978**. و كتاب **حسام الخطيب** الذي ظهر سنة **1971** بعنوان: **سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية**

-دراسة تطبيقية في الأدب المقارن- و كُلتت المرحلة بصدور كتاب إحسان عباس: ملامح يونانية في الأدب العربي.

وفي الثمانينيات ظهرت مجموعة كبيرة من المقالات و الكتب مما يدل على تطوّر هذا النوع من الدراسات في البلاد العربية. ومن بين ما نشر في هذه الفترة نذكر:

مجلة " عالم الفكر " التي خصّصت عددا كاملا للدراسات المقارنة سنة 1980. وفي 1982 صدر كتاب إبراهيم عبد الرحمان محمد : " النظرية والتطبيق في الأدب المقارن "، وفي سنة 1983 خصّصت مجلة " فصول " عددين منها للدراسات المقارنة .

وفي فترة التسعينيات تواصل الإصدار بنفس الوتيرة التي كان عليها في المرحلة السابقة؛ ومن أهم ما ظهر فيها

كتاب آفاق الأدب المقارن - عربيا وعالميا - لحسام الخطيب سنة 1992.

وكتاب الأدب المقارن من منظور الأدب العربي - مقدمة وتطبيق - لعبد الحميد إبراهيم سنة 1997.

2- تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية :

لم تدخل المقارنة حيز الدراسات الأدبية إلا في سنة 1938 حين صدر قرار وزاري بتاريخ 25 يوليو 1938 الخاص بتنظيم لائحة " دار العلوم " ونصّ القرار على ضرورة إضافة مادة جديدة هي " الأدب وقراءة النصوص ودراسة الآداب الأجنبية " كما نص هذا القرار أيضا على أن يُدرّس الأدب العربي المقارن في فرقة التخصص ابتداءً من العام نفسه.

وفي سنة 1943 قرر المجلس الأعلى لدار العلوم في إحدى جلساته أن يصبح الأدب المقارن مادة جامعية مستقلة تدرس في السنتين الثالثة والرابعة .

في سنة 1953 عمل إبراهيم سلامة على تدريس الأدب المقارن لطلبة الأدب العربي.

و شهدت هذه الفترة (الخمسينيات) عودة المختصين من الجامعات الأوروبية و على رأسهم **محمد غنيمي هلال** الذي افتتح عام **1956** بكلية الآداب بجامعة **عين شمس** مكانا في قسم اللغة العربية للأدب المقارن، وكان هو من يُشرف على تدريسه.

وفي أواسط الستينيات عاد **عبد الحكيم حسان** من انكلترا حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن والتحق بقسم الأدب المقارن والنقد و البلاغة بكلية دار العلوم، بالإضافة إلى **صفاء خلوصي** الذي كانت لديه رؤية واضحة للدرس المقارن باقتراحه لمحاور الدرس انطلاقا مما يوجد في العالم العربي من مادة الترجمة والنتاج الأدبي والأساليب والمذاهب والأنواع الأدبية.

تأخّر ظهور الدراسات المقارنة في المغرب إلى سنة **1963** وذلك بسبب حداثة الجامعة المغربية وقد كان **أحمد الطرابلسي** أستاذا للأدب المقارن في هذه الجامعة لمدة طويلة حوالي عقدين من الزمن . وبعده التحقت كوكبة من المختصين في هذه المادة بهذه الجامعة أمثال: **عبد اللطيف السعداني** و**سعيد علوش** و**محمد أبو طالب** و**حسن المنيعي**.

أما في تونس فكانت مادة " الأدب المقارن " تدرس في كلية الآداب بجامعة تونس منذ **1972** و يشترك في تدريسه أساتذة اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية.

وأما في **الجزائر** فقد بدأ تدريس مادة الأدب المقارن ابتداء من العقد الثاني من القرن العشرين وبالذات في جامعة الجزائر، وفي سنة **1969** بدأت جامعة قسنطينة في تدريسه وبعدها جامعة عنابة في سنة **1978** ثم جامعة تيزي وزو في سنة **1979**. وبقي **المنهج الفرنسي** في الدراسات المقارنة هو المتبع في كلّ الجامعات الجزائرية على غرار معظم الجامعات العربية الأخرى . و شهدت سنة **1983** استعمال المنهج الألماني لأول مرة في الجزائر ، و ذلك مع ما قدّمه **أبو العيد دودو** من دراسات مقارنة.

المحاضرة الرابعة: مدارس الأدب المقارن

1 - المدرسة الفرنسية :

يقول "بول فان تيينغيم" (**PAUL Van Tieghem**) أحد أقطاب هذه المدرسة أن الأدب المقارن هو : "دراسة آثار الآداب المختلفة من ناحية علاقاتها بعضها ببعض" ، وقد كانت هذه المدرسة كثيرة التشدد بهذا المفهوم.

كما فرّق **جان ماري كاريه** بشدة بين المقارنات الأدبية غير القائمة على الصلات والعلاقات وبين الأدب المقارن الذي يعتمد على مفهوم التأثير والتأثير من خلال الصلات الواقعية بين الآداب أو الأدباء من بلدان مختلفة.

بالإضافة إلى ذلك يقول " **جان ماري كاريه** " (**Jean Marie-Carré**) : "إن الأدب المقارن فرع من التاريخ الأدبي، لأنه دراسة للعلائق الروحية الدولية وللصلات الواقعية التي توجد بين المؤلفين".

هكذا تهم المدرسة الفرنسية بالأدب المقارن في دراستها لعملية التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة بالظروف الخارجية التي تحيط بالأديب أو بالعمل الأدبي، وتؤدي إلى وجوده كالظروف: التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية وبناءً على هذا لا تقبل المدرسة الفرنسية أن تقوم بالمقارنة بين أي أدبين قوميين أو أكثر ما لم توجد علاقات تاريخية مباشرة بين الثقافتين مثل علاقة المستعمر بالمستعمر ؛ فالثقافة المستعمرة تتأثر بالضرورة بمحتلها. وهنا ترى المدرسة الفرنسية أنه كلما تعرضت أي ثقافة إلى الاحتلال فهي تتأثر بشكل حتمي بثقافة المحتل أو بمعنى آخر: هناك ثقافات تؤثر فقط وثقافات تتأثر فقط ولا يوجد أي ثقافة تؤثر و تتأثر. و اعتبرت ثقافات أوروبا الغربية هي المؤثرة دائماً لأنها هي القوية، وهي التي تمثل الحضارة أما باقي الثقافات لاسيما الإفريقية والعربية فهي تتأثر فقط

لأنها ضعيفة، ولا تملك أي شيء يمكنها تقديمه للآخرين؛ لتثبت بهذا سيطرتها على مستعمراتها التي أصبحت تابعة لها ثقافيا.

وقد أصرت هذه المدرسة كثيرا على مفهوم القومية، واعتبرت اللغة كمقياس أساسي لتحديد؛ ومنه اعتبرت كل أدب مكتوب باللغة الفرنسية أدبا فرنسيا ولم تأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى، وبهذا الشكل يبدو لنا جلليا تركيز المدرسة الفرنسية على كل ما هو خارجي لتحديد عملية التأثير والتأثير بين الآداب. ولا تعود إلى النصوص الإبداعية إلا لتثبت الفكرة التي توصلت إليها سابقا، فهي تنطلق من خارج النص لتصل إلى داخله؛ لذا سميت هذه المدرسة بالمدرسة التاريخية؛ لأنها تربط بين الظروف التاريخية المحيطة بالعمل الأدبي وبين العلاقات التاريخية للثقافات المختلفة، بينما لا تعطي إلا أهمية ثانوية للنص الأدبي.

ولا يُعدُّ من الأدب المقارن ما يعقد من موازنات بين كُتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهما صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير؛ مثلا: لا يمكننا المقارنة بين أديب جزائري وأديب يمني، لأن كليهما ينتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية. كما لا يصح أن يقارن بين أديبين بمجرد التشابه أو التقارب ما لم تكن بينهما صلات تاريخية مباشرة.

نقد منهج المدرسة الفرنسية:

مما يُعاب على المدرسة الفرنسية دراستها الآلية للمصادر والتأثيرات وعلاقات الأسباب بالمسببات والصدى والشهرة أو الاستقبال المخصص لكاتب أو عمل ما.

وفي هذا يقول عبد الحكيم حسان: "هكذا عيب على المفهوم الفرنسي للأدب المقارن منذ نشأته من عدد من أوجه القصور: كعدم التحديد و الخضوع للنزعة التاريخية و الولوج بتفسير الظواهر الأدبية على أساس من حقائق الواقع وعدم التناسق بين المنطق القومي، والهدف العالمي، وكانت النتيجة الطبيعية أن احتلت العوامل المؤثرة في الأدب المكان الأوّل من عناية الباحثين المقارنين في حين احتلّ الأدب نفسه - وهو موضوع الدراسة- المكان الثاني. وبالإضافة إلى ذلك فرض هذا المفهوم الفرنسي تجزئة العمل الأدبي أثناء دراسته وبذلك استبعدت عملية النقد من الدراسة المقارنة " .

- كما أنّ المقارنين الأوائل كانوا أسرى النظرة الاستعمارية؛ واعتبروا آداب العالم كلّها منبثقة عن الآداب الأوروبية. ولم يعطوا الآداب الآسيوية والإفريقية والأمريكية الجنوبية حقّها من البحث والاستقصاء .

ويطالب المعارضون بأن تتوسّع نظرة الأدب المقارن؛ لتشمل البحث عن المشابهات في الأفكار الأدبية، وفي الذوق الجمالي، لأنه من دون ذلك لا يكون للأدب المقارن فعالية حية مرتبطة بقضايا العصر. ومن أبرز هؤلاء "رينيه ايتيامبل" الذي يعطي الأولوية لعنصر الأدب في المقارنة وليس العكس وهو الخطأ الذي وقعت فيه المدرسة التقليدية الفرنسية في الأدب المقارن ... كما أن الثقافة الموسوعية "لايتيامبل" (R.Etiemble) طبعت نزعتها في الأدب المقارن بطابع الشمولية الكونية التي لا تحتقر -مسبقا- أي ثقافة أو أي شعب. وقد وجه ايتيامبل انتقادا لاذعا لماريوس فرانسوا غويار - (M. F Guyard) . واتّهمه بالتعصب الإقليمي والقومي.

2 - المدرسة الأمريكية :

ومن الاتجاهات النقدية التي تعارضت مواقفها النظرية والتطبيقية تعارضاً شديداً مع الاتجاه التاريخي في الأدب المقارن ذلك الاتجاه النقدي الذي يُعرف "بالنقد الجديد" (New Criticism) . فقد أعاب رينيه ويلك على المدرسة الفرنسية أنّها من الناحية النظرية مثقلة بأعباء النزعتين التاريخية والوضعية، وأنّها تتعامل مع النصوص الأدبية بصورة خارجية، ولا تتعامل مع الأبعاد الداخلية لتلك النصوص، أي مع جوهرها الفني والجمالي. مع أنّ العمل الأدبي "بنية ذات طبقات من الرموز والمعاني المستقلة تمام الاستقلال عن العمليات التي تدور في ذهن الكاتب أثناء التأليف". و إنّ العمل الأدبي يفقد أدبيته بمجرد أن يجرد من تلك البنية، وهذا هو ما تفعله دراسات التأثير التي تقفز فوق جوهر الأعمال الأدبية، أي فوق أدبيتها وجمالياتها، وتتعامل معها كمجموعة من المؤثرات والوسائط الخارجية.

تهدف المدرسة الأمريكية إلى دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها -دون مراعاة للحواجز السياسية- اللسانية-، حيث يتعلق الأمر بدراسة التاريخ والأعمال الأدبية من وجهة نظر دولية. وقد

عرّف "هنري رماك" -و هو أحد أعلام هذه المدرسة- الأدب المقارن بأنه: " مقارنة أدب معين مع أدب أو آداب أخرى. ومقارنة الأدب بنواحي أخرى من التعبير الإنساني".

و لم تكتفِ المدرسة الأمريكيّة- بنقل اهتمام الأدب المقارن من العلاقات الخارجية إلى العلاقات الداخلية للأدب، بل تخطّت ذلك إلى المطالبة بأن تفتح الدراسات المقارنة على نوع آخر من المقارنات، ألا وهو مقارنة الأدب بالفنون والعلوم وحقول المعرفة الأخرى: فالفنون كالموسيقى والتصوير، هي ظاهرة جمالية تنطوي على أوجه تشابه كثيرة مع الأدب. ولذا فإنّ دراستها يمكن أن تقرّبنا من فهم الأعمال الأدبية، ويمكن أن تؤدي مقارنتها بالأدب إلى الكشف عن جوهره. و الأمر نفسه في علاقة الأدب بالعلوم الإنسانية الأخرى... فهي علوم يمكن أن تقدّم مساعدة كبيرة في فهم الأعمال الأدبية.

إنّ جوهر الدراسة المقارنة للآداب من وجهة نظر "أمريكية"، يكمن في تقرّبنا من جمالية النصوص لا في حصر ما تنطوي عليه من مؤثرات أجنبية، وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير.

نقد منهج المدرسة الأمريكية :

- لم تسلم المدرسة الأمريكية من الوقوع في عدّة عيوب نذكر من بينها:
- عدم التمييز الدقيق بين مناهج ومفاهيم الأدب المقارن والأدب العام رغم الاختلاف الجوهرى.
- عدم الاهتمام الكبير بالحدود القومية والسياسية أثناء عملية المقارنة بين الآداب.

3 - المدرسة السلافية أو الروسية :

جاءت هذه المدرسة لكي تسد الثغرات التي تركتها المدرستان الفرنسية والأمريكية، وكان ذلك بعد أن انتقدتهما، فوصفت الأولى بالمركزية الأوروبية والثانية بالعدمية القومية.

بعد سنة 1945 أصبحت الدراسات المقارنة في منطقة أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي مرتبطة بالنظام السياسي ومن هنا رُفضت هذه الدراسات، وكان هؤلاء يدّعون أن أدب هذه المنطقة له صيغة محلية كما كان السوفييت يزعمون أن ثقافتهم صافية وخالصة.

ولا تتخلى المدرسة السلافية على التشديد على الخصوصية الوطنية- في حديثها عن الأدب المقارن- لأنّ أهمية هذه الدراسات تتحدّد في تقدير نزعة الأدب الذي يستهدف الكشف عن جوهر الفن كظاهرة عليها ألاّ تسقط ضحية دراسة وصفية أو موقف مسبق من الأدب. و تُعرّف هذه المدرسة الأدب المقارن بأنّه: "البحث عن الروابط المشتركة والتفاعلات بين الآداب القومية في تطورها التاريخي".

من أهم النقاط التي يمكننا الخروج بها من هذا التعريف هي:

أ- أن كل الأمم تؤثر وتتأثر، وعملية التأثير لا تقع من جهة واحدة فقط - كما يزعم الفرنسيون-؛ فهي روابط مشتركة.

ب- إنّ كلاً من المؤثر و المتأثر إيجابيّ وفَعَالٌ، إذ يُمكن للمتأثر أن يأخذ ما تأثر به من الآداب الأخرى، ويُكيّفه مع ذاته أولاً، ومع أوضاعه الثقافية والفكرية ثمّ يُبدع أدبا متميّزا.

ج- عدم إهمال الفروق القومية بين الثقافات، و التعامل معها بموضوعيّة.

د- عدم الحكم على أيّ ثقافة إلّا بعد دراسة تطوّراتها التاريخيّة، وعلاقاتها بغيرها من الثقافات ؛ لأنّ كلّ ثقافة من ثقافات العالم يمكنها أن تؤثر في فترة زمنية معينة، وتتأثر بدورها في فترة زمنية أخرى كالثقافة العربية التي كانت في موضع المؤثر في العصر العباسي والأندلسي، وأصبحت هي المتأثرة في العصر الحديث.

ومّا أكّد عليه أصحاب هذه المدرسة أنّه ينبغي الاهتمام بالصراع الطبقيّ، والصراع

الإيديولوجي لأنه يؤثر كثيرا في طريقة استقبال أي مجتمع من المجتمعات للموضوعات الأجنبية.

4 - المدرسة الألمانية:

في أواخر الستينيات من هذا القرن حدث تحوّل في النقد الأدبي، أسفر عن اتجاه جديد يعرف "بنظرية التلقي" أو "جمالية التلقي". لقد قام هذا الاتجاه النقدي بنقل مركز الاهتمام من إنتاج الأعمال الأدبية وجماليته إلى تلقي الأعمال الأدبية وجماليته.

في عملية التلقي يحدث انصهار بين "أفق النص" و "أفق التوقع" للمتلقي، وينجم عن انصهار هذين الأفقين توسيع أفق المتلقي. فالتلقي لا يُحدِّد النصّ الأدبي وحده، بل هو عملية لها أبعاد ذاتية تختلف من متلقٍ لآخر. في ضوء هذه النظرة ينتقل مركز الثقل في العمل الأدبي من المنتج إلى المتلقي، مما يستدعي أن ينتقل مركز اهتمام النقد من إنتاج النصّ إلى تلقيه؛ ففهم النصّ لا يتوقّف على ما ينطوي عليه ذلك النصّ من دلالات، بل يتوقف أيضاً على ما يدور في الذات الفاهمة. فإذا لم نأخذ هذه الحقيقة في الحسبان فإننا لا نستطيع أن نفهم ذلك التعدد والتنوع و الاختلاف في فهم النصوص، و تلك التفسيرات الكثيرة للنصّ الواحد. إنّ الاختلاف في فهم النصّ عينه هو أمر لا يمكن تفسيره إلاّ بإرجاعه إلى اختلاف آفاق توقعات المتلقين.

إنّ أوّل جانب من جوانب الأدب المقارن الذي تأثر بنظرية التلقي هو مفهوم التأثير ودراساته. فالتأثير لا بدّ أن يسبقه تلقٍ، وإلاّ فإنّ ذلك التأثير لا يتمّ. و التلقي عملية إيجابية تتمّ وفقاً لحاجات المتلقي، وبمبادرة منه، وفي ضوء أفق توقعاته. أمّا مفهوم التأثير الذي لا يرتبط بالتلقي -بل يُسقط دوره- فهو يحوّل الطرف المتأثر إلى طرف سلبي، وينسب العناصر الإيجابية كلّها إلى الطرف المؤثر، ناهيك عن استحالة حدوث تأثير وتأثر بمعزل عن حدوث التلقي. فالتلقي حلقة سابقة للتأثير والتأثر، وهي ليست حلقة ثانوية بل حلقة أساسية يكون فيها المتلقي طرفاً فاعلاً وإيجابياً وديناميكياً. و لعلّ الخطأ الجسيم لمفهوم "التأثر" القديم، الذي وقعت فيه المدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن، يكمن في أنّ ذلك المفهوم قد أغفل التلقي وما ينطوي عليه من أبعاد جوهرية، فتحوّل الطرف المتأثر إلى طرف سلبي يتعرّض للتأثير. أمّا نظرية التلقي فقد ربطت التأثير بالتلقي، وجعلت من التلقي شرطاً لأيّ تأثير. صحيح أنّها لم تستغن عن مفهوم "التأثير"، ولكنّها وضعت في سياق جديد وأعادت صياغته بصورة جذرية.

ميّزت نظرية التلقي بين أشكال مختلفة من التلقي. فمن التلقي ما هو قرّائي، يمارسه القارئ العادي الذي يتلقى العمل الأدبي، فيتفاعل معه ويستمتع به جمالياً، أمّا النوع الثاني من التلقي - وهو النوع الأهمّ

بالنسبة للأدب المقارن- فهو التلقي المنتج أو الإبداعي، الذي يمارسه الأدباء. فهم لا يتلقون الأعمال الأدبية مجرد أن يستمتعوا بها، بل يتلقونها للاستفادة منها إبداعياً وإنتاجياً. إنَّ تلقياً كهذا يؤدي إلى تطوير الإبداع الأدبي وتحديدده-وهو النوع الذي كانت المدرسة الفرنسية تسميه تأثيراً-.

إنَّ مفهوم "التلقي الإبداعي" يعني أنَّ المتلقي هو محور هذا النشاط، وهو يتلقى إبداعياً بمبادرة منه، ووفقاً لحاجاته ومتطلباته وأفقه. أمّا مفهوم "التأثير" فهو ينطوي على معانٍ ومضامين مغايرة تماماً لمعاني التلقي الإبداعي ومضامينه. فهو يجعل من الطرف المتأثر طرفاً سلبياً منفعلاً، وينسب الدور الإيجابي كله إلى الطرف المؤثر. و لذا فإنَّ مفهوم "التلقي الإبداعي" قد سدَّ كل الثغرات النظرية التي ينطوي عليها مفهوم "التأثير".

و كثرت في الفترة الأخيرة الدراسات المقارنة التي تتناول تلقي عمل أدبي أو أعمال أديب ما، أو تيار أدبي، أو اتجاه فكري، في الآداب والثقافات الأجنبية، بعيداً عن الحساسيات والسلبيات التي تنطوي عليها دراسات التأثير والتأثر التقليدية.

ومن أشكال التلقي التي أثارت اهتمام المقارنين "التلقي النقدي"، والمقصود به ما يمارسه النقاد من نشاطات تفسيرية وتأويلية للأعمال الأدبية الأجنبية. فالناقد لا يتلقى العمل الأدبي بغرض الاستمتاع به، بل يتلقاه ليقوم بتفسيره لمتلقين آخرين. و لا يقتصر هذا النوع من النشاط النقدي على أعمال من الأدب القومي، بل يتعداها إلى توسيط أعمال أدبية أجنبية بصور مختلفة. ولذلك كان هذا النوع من التلقي موضع اهتمام الأدب المقارن. فمن المهم أن يعرف المرء كيف يُستقبل العمل الأدبي نقدياً خارج مجتمعه وثقافته الأصليين. وعند دراسة هذه المسألة فإنه يفاجأ بالفرق الكبير بين تلقي العمل الأدبي نقدياً، أي شرحه وتفسيره، داخل ثقافته الأصلية وبين تلقيه نقدياً، أي فهمه، خارج تلك الثقافة. تقدم نظرية التلقي تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة. فتلقي العمل الأدبي خارج مجتمعه وثقافته الأصليين يخضع لعوامل واعتبارات نابعة من الطرف المتلقي وأفق توقعاته، وهو أفق يختلف كثيراً عن أفق التوقعات السائد في المجتمع الذي ينتمي إليه العمل الأدبي في الأصل.

